مخطوطة أخرى في الموصل

لرسالة الحنين الى الاوطان

بقلم

غربي الحاج احمد

١ ـ في كتاب (تاريخ الادب العربي) لمؤلفه الاستاذ كارل بروكلمان (ج٣) ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار (ص ١١٦) اشارة الى ان من كتب الجاحظ (الحنين الى الاوطان) والى انه مخطوط مجموعة داماد ابراهيم ٩٤٩ : ١٧ ومخطوطة الموصل ١٣٦ ، ٦/٢٣٣ و ٢٦٥ : ١٥ وانه قد نشر بالقاهرة سنة ١٣٣٣هـ وفي كتاب رشر ٤٨٨ وذكر السندوبي في الرسائل ١٥٣ انه منحول وذكر بروكلمان (ص ١٢٨) اما اتهام السندوبي في الرسائل ١٥٣ لكتاب الحنين الى الاوطان بانه منحول للجاحظ فهو امر يعسر القطع به .

٢ ـ قال الاستاذ عبدالسلام هارون في كتابه (رسائل الجاحظ) (ج٢ ص٣٨٠) : رسالة الحنين الى الاوطان ذكرها بروكلمان مخطوطة داماد ابراهيم ونسخة الموصل التي اشرنا اليهـــا .

وقال : لم تبق من مخطوطات هذا الكتاب الا مخطوطة داماد ابراهيم واما نسخة الموصل وهي التي كانت محفوظة في مكتبة امين الجليلي فقد فقدت لم يعرف مصيرها كما ذكر الدكتور داود الجلبي في كتابه مخطوطات الموصل (١)

ويقول الاستاذ هارون (ص ٣٨١) واما بعد فان لهـــذا الكتاب اصلين هما :

١ ـ الاصل الاول نسخة داماد وهي المعبر عنها بالاصل

٢ ـ الاصل الثاني النسخة التيمورية الملحقة بدار الكتب برقم (٣٥١ ادب المجاميع) وهي مجموعة تشتمل على كتـــاب المبهج للثعالبي والمتشابه للثعالبي ، رسالة الحنين الى الاوطان، والوشي المرقوم في حل المنظوم لابي الاثير والظرائف واللطـائف للثعالبي ، وضم اليه المقدسي كتاب اليواقيت ومراة المروءات للثعـالبي .

والمجموعة بخط امين العمري سنة ١١٧١هـ وفيهـــا نصوص من المقابلة على الاصول التي نقل عنها .

٣ ـ وقد عثرت في مكتبة الاوقاف العامة بالموصل عـلى مخطوطة اخرى لرسالة الحنين الى الاوطان ، هي غير المخطوطة التي اشار اليها المرحوم داود الجلبي وهي رسالة وردت في مجموعة سميت (من المدح والذم والاضداد) من وقف مدرسـة الحسنية ١٢٣٢هـ مختومة بختم (حسن باشا الجليلي) وقــد جاء في مقدمتها :

رسالة الحنين الى الاوطان تاليف ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمة الله عليه ثم بسم الله الرحمن الرحيم وبـــه نستعين (٢) .

وجـاء في خاتمتها : الرسالة من كلام ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ بعون الله تعالى ومنه ولطف الله الموفق للصواب واليه المرجع والمئاب وصلى الله على سيدنا محمد والـــه وصحبه اجمعين .

وقع الفراغ من تنميقه في نصف شهر جمادي الاخر من سنة ثلاثة وثمانين ومائة والف على يد اضعف العباد قاسم بن مـراد راوية بمدرسة البكتاشية بالموصل المحمية .

والمخطوطة تقع في ١٧ صفحة في كل صفحة ١٩ سطرا خطها رديء والتصحيف والتحريف فيها كثير يكاد يطمس معالم الرسالة ويفقدها معانيها ، مما يدل على ان ناقلها (اضعف العباد قاسم بن مراد) لا يفهم من الادب واللغة شيئا ، وانه قد كلف بنقلها عن مخطوطة اخرى دون ان تراجع على الاصل او تفهم فهمـا سـليما .

ومن مقارنتها بالرسالة التي نشرها الاستاذ هارون نستطيع ان نذكر ان هذه المخطوطة منقولة عن المخطوطة التيمورية وذلك للاسباب :

اولا ـ ان المخطوطة التيمورية مكتوبة بتــاريخ ١١٧١هـ وبخط امين العمري ، والكاتب امين العمري موصـــلي اذن فالمخطوطة التيمورية مخطوطة موصلية انتقلت شانها شان كثير من مخطوطات الموصل الى مكتبات كثيرة وبعيدة ، والمخطوطـــة الموجودة الان في الموصل قد كتبت بتاريخ ١١٨٣ اي بعد المخطوطة التيمورية باثنتيعشرة سنة .

ثانيا ـ ان المخطوطة التيمورية ـ كما اشار الاستاذ هارون ـ تحتوي على رسائل عدة للثعالبي ومخطوطتنا هي الاخـرى تحتوي على مجموعة من هذه الرسائل وهي : ـ

١ ـ رسالة في مدح الشيء وذمه من جمع الشيخ المقدسي لرسالة الظرائف واللطائف ورسالة اليواقيت في بعض المواقيت .
٢ ـ الفرائد والقــلائد
٣ ـ في المتشـــابه
٤ ـ مراة المروءات
٥ ـ المبـــهج
٦ ـ الكلم الافلاطونية
٧ ـ سحر البلاغة وكلها للثعالبي

(١) كتاب مخطوطات الموصل ص ٢٦٤

(٢) لاحظ صورة الصفحتين الاولى والاخيرة من المخطوطة .

فليس من الصدف ان تكون رسالة الحنين الى الاوطان ضمن مجموعة للثعالبي في المخطوطة التيمورية وتكون ضمن مجموعة الثعالبي في مخطوطة الموصل .

ثالثا ـ ومما يقطع الشك باليقين ان الخلافات بين مخطوطة الداماد ابراهيم وبين المخطوطة التيمورية التي اشار اليها الاستاذ المحقق هارون في هوامشه هي الخلافات نفسها مع مخطوطة الموصل .

ونستطيع ان نذكر ان هذه المخطوطة الموجودة في مكتبة الاوقاف العامة بالموصل هي غير المخطوطة التي اشار اليها المرحوم داود الجلبي ، فقد ذكرنا اوصاف المخطوطة الموجودة في حين ان اوصاف المخطوطة المفقودة كما ينقلها الاستاذ هارون تختلف من حيث التاريخ اذ انها منقولة عن مخطوطة الداماد ابراهم او ان الاخيرة منقولة عنها ، فهي مكتوبة في حدود القرن السادس الهجري ، بينما المخطوطة الموجودة كتبت سنة ١١٨٣هـ ، وتختلف من حيث المضمون اذ ان المفقودة تضم رسائل عديدة (١٨ رسالة) من رسائل الجاحظ بينما الموجودة تضم رسالة الحنين الى الاوطان من رسائل الجاحظ الى مجموعة كتب للثعالبي .

٤ ـ وقد قيل في رسالة الحنين الى الاوطان بمخطوطاتها جميعا انها لابي حيان التوحيدي او انها للجاحظ او انها منحولة له فاي الاقوال يمكن ترجيحه والاطمئنان اليه ؟ :

أ ـ يقول ياقوت الحموي في معجم الادباء (ج١٥ ص٨) في ترجمة التوحيدي : ولابي حيان تصانيف كثيرة منها كتاب الرسالة في الحنين الى الاوطان .

وقد ذكر كتب الجاحظ (ج١٦ ص١٠٦) ولم يذكر هذه الرسالة من ضمنها .

ب ـ يقول الدكتور احمد محمد الحوفي في كتابه (ابو حيان التوحيدي) (ص١٠ ج٢) : اما كتب التوحيدي التي يغلب على الظن انها مفقودة فهي الرسالة في الحنين الى الاوطان .

جـ ـ يقول الاستاذ عبدالرزاق محي الدين في كتابه (ابو حيان التوحيدي) (ص ٢٥٦) والحنين الى الاوطان ذكره ياقوت في معجمه لم اعرف له نسخة ولا ماثورا في نقل ولعله الفه ايام اغترابه بشيراز .

د ـ يقول الدكتور زكريا ابراهيم في كتابه (ابو حيان التوحيدي) (ص ١٠١) الرسالة في الحنين الى الاوطان من انتاج التوحيدي ومن الكتب التي ذكرها الحموي في معجمه .

هـ ـ يقول الاستاذ حسن السندوبي في كتاب (المقابسات) (ص١٨) ان رسالة الحنين الى الاوطان هي من مؤلفات التوحيدي ولم يذكر السندوبي هذا الكتاب من ضمن كتب الجاحظ في مقدمة (البيان والتبين) الطبعة الاولى سنة ١٩٢٦ ويقول مرة ثالثة في الرسائل (ص ١٥٣) انه منحول للجاحظ .

و ـ يؤكد الاستاذان بروكلمان وعبدالسلام محمد هارون ان رسالة الحنين الى الاوطان من مؤلفات الجاحظ .

٥ ـ ان ابا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ـ٢٥٥هـ) من ادباء القرن الثالث الهجري ، وان ابا حيان التوحيدي : علي بن محمد بن العباس (٣١٠ـ٤٠٠هـ) من ادباء القرن الرابع الهجري في حين ان اول من اشار الى كتاب الحنين الى الاوطان هو ياقوت الحموي (٥٧٤ـ٦٢٦ﻫ) من ادباء القرن السادس الهجري وقد نسب الكتاب الى التوحيدي وعنه نقل الادباء والمفكرون ذلك .

وان مخطوطة الداماد ابراهيم هي اول من اشارت الى ان هذا الكتاب من تاليف الجاحظ ، وعن هذه المخطوطة يقول الاستاذ هارون (ص٥ ج١) من كتاب (رسائل الجاحظ) : وليس لهذه النسخة تاريخ وان كان المرجح ان خطها من خطوط القرن السادس ، فهي بشكل غير مؤكد معاصرة لمعجم الادباء ، او قبله او بعده بقليل . وسواء صحت رواية (الحموي) او رواية (مخطوطة الداماد) فان الروايتين متاخرتان بقرنين عن عصر التوحيدي وبثلاثة قرون من عصر الجاحظ ، وهي فترة زمنية طويلة توصي بعدم الاطمئنان الى الاقوال المسموعة وتفتح ابواب الشكوك على مصاريعها وقبول القول بالانتحال والتصنيع في عهود لم تكن منزهة عن التصنيع والانتحال فقد ذكر عن الجاحظ (انه في اول عهده بالتصنيف كان يطلب رواجا لكتبه فينسبها الى بعض العلماء المشهورين على ما حكاه ايضا في بعض رسائله) (٣) ويعترف الجاحظ نفسه بذلك فيقول : (ربما الفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه والفاظه ، فاترجمه باسم غيري واحيله على من تقدمني عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابي ومن اشبهه هؤلاء من مؤلفي الكتب) (٤) .

الا ان ما ورد من اشارات في كتاب (الحنين الى الاوطان) توحي بانه من مصنفات الجاحظ وتدفع عنه شبهة الانتحال . وان الاسباب التي ذكرها الاستاذ هارون ترجح نسبته الى الجاحظ :

١ ـ لان الكتاب جار على طريقته في التاليف ونهجه ، وهو اختيارات مختلفة تتعلق بموضوع الحنين الى الاوطان يربط بينها الجاحظ بذلك التبويب الساذج .

٢ ـ ليس في نصوص الكتاب ولا في رجاله ولا في حوادثه ما يجاوز زمنه زمان الجاحظ .

٣ ـ في الكتاب نصوص مشتركة بينه وبين سائر كتبه الاخرى ، وتلك سمة نعرفها من سمات الجاحظ في تاليفه .

٤ ـ ذكر اقوال الفرس وكلام الحكماء والفلاسفة ونوادر الاعراب واهل البادية فيما يعني من مناسبة نمط جاحظي معروف .

اما ما قد يقال بان رسالة الحنين قد تكون لابي حيان التوحيدي لتشابه اسلوبه باسلوب الجاحظ فالرد عليه : ان الميزة البارزة بين اسلوبي الجاحظ والتوحيدي هي ان الاول يكثر من الاستشهاد بالاشعار في حين ان الثاني قليل الاستشهاد بها ، يضاف الى ذلك ان ما ورد في الرسالة من حوادث ورجال لا يتجاوز زمنها زمان الجاحظ ولو كانت للتوحيدي لاضاف اليها حوادث ورجالا قد تجاوزوا هذا الزمان والفارق الزمني بين الرجلين قرابة القرن وهو عهد حافل بالادباء والشعراء .

لذلك كله فنحن مع الاستاذ عبدالسلام هارون في قوله بان رسالة الحنين الى الاوطان هي من مصنفات الجاحظ ، وليست للتوحيدي .

---

(٣) تاريخ الادب العربي لبروكلمان (ج٣ ص١٠٧) ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

(٤) رسالة فصل ما بين العداوة والحسد ـ كراوس والحاجري مجموعة رسائل الجاحظ (ص١٠٩) القاهرة سنة ١٩٤٣ .